المحاضرة 06: النقد عن المازني الجزء 01:

1. تأثر المازني في نقده أول الأمر بحياته الدراسية، حيث تخرج في مدرسة المعلمين عام 1909م، فاستطاع بهذه الدراسة المدنية إتقان اللغة الإنجليزية، كما أتيح له الاطلاع على علوم الغرب المختلفة وآدابه، ثم اشتغل بعد تخرجه مدرسا للترجمة في المدارس الثانوية، وقد أعانه ذلك على مداومة الاطلاع على ما كتب في الأدب الغربي، فانتفع به، وتأثر بكتابه وشعرائه ونقاده، وتولدت لذلك عنده نزعة تحررية في الأدب، غذتها الحركات التحررية السياسية والاجتماعية التي شهدها في مصر، كالدعوة إلى للديمقراطية في الحكم، وكدعوة قاسم أمين لتحرير المرأة، كما تأثر باطلاعه على حركات التحرير المختلفة في أوربا عندما كان مدرسا للتاريخ بالمدارس الثانوية.

وكان المازني بجانب اطلاعه على أدب الغرب عظيم الاطلاع كذلك على الأدب العربي القديم، لاسيما أدب الجاحظ والجرجاني والأصفهاني، والشريف الرضى وابن الرومي والمتنبي والمعري، وكان معجبا غاية الإعجاب بابن الرومي، وهو من أحب شعراء العرب إليه، كما صرح بذلك، ولعله أحب الشعراء أيضا عند زميله العقاد الذي قال عنه بعد استعراضه لمميزات شعره من مثل دقة حسه وإبداع تصويره واتخاذه القصيدة كلا واحدا لا يتم بغير تمام المعنى حتى ولو خسر في سبيل ذلك اللفظ والفصاحة مما هو سمة الشعر الإفرنجي، قال العقاد بعد هذا الوصف لشعر ابن الرومي: « لهذا كله خمل ابن الرومي وبعدت الشقة بينه وبين أبناء عصره، فاستغربوه وغربوه وبقي خاملا حتى كشف عن مكانه قراء الشعر الإفرنجي في العصر الحديث لأنهم وجدوا فيه شاعرا من طراز أولئك الشعراء الذين يقرءون لهم في اللغات الغربية ووقفوا له على نمط من المعاني قريب من ذلك النمط الذي عهدوه في كلام الفحول من شعراء الإفرنج ولا سيما في الفكاهة الحقة البريئة من النكات اللفظية، والوصف الصحيح البعيد عن شبهة المحاكاة، والإحساس الصادق الذي يقتسر قيود الألفاظ والأوزان على أداء عباراته، والنظرات المسددة التي لا تزيفها الزخارف الكاذبة».

ومع اطلاع المازني على الأدبين العربي والغربي الذي أشرنا إليه فإنه يذكر أن هناك ديوانين من الشعر بدأ بهما مطالعاته الجدية في الأدب، فوجها نفسه هذا التوجيه الذي سار فيه، وهما ديوان شيللي، وديوان الشريف الرضى.

ثم إن من أول من تأثر بهم أيضا في حياته الأدبية هازلت وبيرون ومارك تورين وشكسبير وشعراء البحيرة: ورد زورث وكولردج وبراوننج، « وكان يقرأ مع الشعر نقد الشعر وتاريخ الأدب في كتب النقاد الممتازين والمؤرخين المأثورين، وأحبهم إليه هازلت وأرنولد وماكولي وسينتسبري، وطائفة من كتاب المقالة الأدبية، والعجالة النقدية الاجتماعية

أمثال لي هنت وشارلز لام وسويفت وأديسون وإخوان هذا الطراز، وأحب الروائيين إليه نخبة من فحول فن الرواية كوالتر سكوت وديكنز وثاكري وكنجزلي».

ومما كان له أكبر الأثر في تشجيع المازني على المضي في الإنتاج الأدبي هو اشتغاله بالصحافة، فنشر أكثر مقالاته النقدية في الصحف، ثم جمعها بعد ذلك في كتب خاصة كما فعل في "شعر حافظ" و "حصاد الهشيم". والعقاد لا يختلف عنه من ناحية التأثير الصحافي في نقده فسبيلهما في ذلك واحدة.

غير أن من أهم العوامل في خلق شخصية المازني الناقد هي صحبته للعقاد وشكري- وإن كان ثلاثتهم أفادوا جميعا بعضهم من بعض- لا سيما عشرة المازني للعقاد فقد دامت ثمانية وثلاثين عاما، إذ ظلت قائمة إلى أن توفي المازني عام 1949م.

أما علاقة المازني بعبد الرحمان شكري فكانت أقدم من علاقته بالعقاد، وكلاهما تخرج في مدرسة المعلمين العليا عام 1909م، ثم حدث بينهما ما حدث من تصادم، فنقد عبد الرحمان شكري المازني في الصحف وفي مقدمة ديوانه الخامس، ونقده المازني في "الديوان" على نحو ما ستعرف، ولكن الصفو عاد بينهما بما بذله صديقهما العقاد من مجهود، إلا أن ذلك النقد القديم ظل له أثره في نفسية شكري، فساء ظنه بالناس واعتزلهم وانقطع أيضا عن التأليف.

2. أما اتجاهات النقد عن المازني في الربع الأول من هذا القرن، فتحددها مقالاته الأدبية التي نشرت في الصحف المختلفة كالبيان والدستور وعكاظ والأخبار، كما تحددها مجموعة كتبه التي صدرت في هذه الفترة، والتي تضمنت أيضا أهم تلك المقالات.

وأول ما يعنينا من نقده هذا، هو ما كتبه عن ابن الرومي في مجلة البيان بين سنتي 1913م و 1914م، ثم نشره بعد ذلك في كتابه "حصاد الهشيم".

ويمكننا أن نستخلص من ذلك البحث الخطوط الأولى التي ترسمها المازني في فجر حياته النقدية، فهو يرى:

(أ) أن من يتصدى لكتابة سيرة عظيم من العظماء، سواء أكان أديبا أم عالما أم غيرهما، عليه أن يستقصي أخبار هذا العظيم، ليستطيع أن يقتفي معالم سيرته، ويتتبع نمو عقله، ويدرس نفسيته، على أن يعتمد في كل ذلك على التحليل الدقيق، نفسيا كان أو أخلاقيا أو نحوهما، مع تصوير نفس العظيم بمقوماتها وغرائزها، وملكاتها مجتمعة.

وعليه فالمازني يرى أن مؤرخي العرب كانوا مقصرين في كتابة سير عظمائهم، وأنهمما كانوا ينظرون إلا إلى الدولة دون الأمة، فأهملوا بذلك تقصي أخبار مثل ابن الرومي وغيره من العظماء، ولذا فالفرق شاسع في ذلك بينهم وبين مؤرخي الغرب.

ويعلل لاهتمام المؤرخين بكتابة السير، بأن الإنسان وجهة الإنسان في كل شيء، فهو يعني بحياته العامة والخاصة، كما يساير عقله، ويتابع إحساسه، وهو معنى من أجل ذلك بالترجمة والتاريخ، ومهتم بآثاره لحد كبير، ولذا إن نظر أحدنا في قصيدة شاعر أو رسالة كاتب، لابد

من محاولته أن يصور لنفسه روح هذا الأديب، وعقله، وقلبه، وسيجد أنه كثيرا ما تذهل القصيدة النفس، فتتجرد وتتعرى من شخصيتها وروحها وعقلها. ويرى المازني في ذلك ردا على النقاد الذين يطلبون أن يتجرد المرء من إنسانيته ليتجرد من الهوى، وليكون أصح حكما، وأصدق نظرا، كأن قيمة الشعر لا تقدر أيضا على حسب اللذة المستفادة منه.

ورأي المازني هذا هو ما يراه جمهور النقاد اليوم من أن النقد لا يمكن أن يكون موضوعيا بحتا، بل لابد فيه من جانب الذاتية، لأن للذوق الشخصي ومدى التأثر بالقطعة الأدبية أثره في الحكم عليها أيضا. وعليه لم يستطع النقاد أن يقولوا إن النقد علم محض، لا ولا هو فن محض، ففيه من العلمية والفنية بقدر ما فيه من الموضوعية والذاتية، ولكن ما فيه من الذاتية يجب أن تضبطه وتقيده تلك الناحية الموضوعية، وهذا هو معنى التجرد من الهوى الذي يريده عامة النقاد.

ويواصل المازني حديثه عن العظماء، فيقول إن الحاجة هي التي تخلقهم، فلو لم يهرب شكسبير من بلده إلى لندن، لصدر من غيره مثل هذا الشعر الذي تقرؤه له اليوم، ثم إن العصر الواحد قد لا يسع أكثر من عظيم واحد، أو قد يسع معه نقيضه في مذهبه.

ولكنا لا نسلم للمازني بهذا الرأي على إطلاقه، فهناك كثير من الشعراء لم تخلقهم الحاجة أو الظروف، كهذه التي خلقت عظمة شكسبير، بل كان لشخصياتهم النصيب الأكبر في خلق عظمتهم، وكان منهم من خلق الظروف لإبراز عظمته. وقد ينبغ في العصر الواحد أكثر من شاعر، وربما اتفقوا جميعا في مذهبهم الشعري، ولم يختلفوا إلا في جوانب العظمة، بما لكل منهم من مقومات لشخصيته. وتاريخ الآداب حافل بالشواهد على ذلك، ويكفي أن تعود للعصرالعباسي لترى الأدلة البينة.

(ب) ثم يقول المازني إن هؤلاء العظماء قد يخمل بعضهم بعضا، فقد يخمل العالم العالم، ولكن الشاعر الفحل لا يخمل أخاه الفحل، ذلك لأن العلم متطور متجدد أبدا، وليس كذلك الشعر، فالعلم يكتسب، والشعر ابن الإرادة والإحساس والإلهام، وهو صورة من الحياة، والحياة كحجارة النرد لها أكثر من جانب، وليس معنى ذلك أنه جامد لا يتغير، ولكنه يتحول مع الحياة ويتسع أفقه مثلها، فهو كالبحر لا يزيد ولا ينقص، ولذا يبقى لكل شاعر امتيازه وتفوقه، وإلا لأخمل المتنبي النابغة، وأخمل المعري البحتري وهكذا...

كذلك ليس الأصل في الشعر تقليد من سبق، غذ لو كان الأمر كذلك لما ظهر الفحول إلا في أواخر العصور، ولما ظهر واحد منهم في أولها، ولكنك ترى الشعر في جاهلية الأمم وبداوتها، كالشعر في حضارتها، لأن الشاعرية خالدة. ولا يعني ذلك أيضا أن الشعراء صورة واحدة معادة، كلا فإن كل شاعر يطبع الشعر بطابعه ويسمه بميسمه.

إلا أن العرب كانوا من ضيق الروح والعجز عن التصرف، يسيرون في طريق واحدة، يقلد المتأخر منهم المتقدم، وينظم في أغراضه، ولا يختلف عنه إلا في اللفظ والأسلوب، ولم يكونوا من سعة الروح بحيث يفطنون إلى جلالة الشعر، ويدركون ماهيته وحقيقته وعظم

وظيفة قائله. وليس أدل على ذلك، من تركهم الأغراض الشريفة في الشعر وتناولهم المدح والهجاء، فلذا كان الشعر عندهم في منزلة دون منزلته عند غيرهم.

وأحسب المازني قد بالغ فيما ذهب إليه، إذ الواقع أن العرب كانوا يجلون الشعر لأنه عندهم زخرف الحياة، وكانوا يخشونه لما فيه من سحر، ولما فيه من قوى خفية، تضع وترفع، وكانوا لذلك يكبرون الشاعر، ويحتفلون بنبوغه، ويخشونه أيضا. وكان له في رأيهم معارف سحرية خارقة للعادة.

(ج) وكان من عيوب العرب في أدبهم أيضا: فساد الذوق، وشطط الذهن،وكان لحياتهم البدوية، وما ألفوه من حرية أثر كبير في ذلك، فنجد عندهم الحدة والطغيان والغلو ونحوهما مما يجعل شعرهم جافيا جامحا، ومما يجعلهم ليسوا أشعر الأمم كما يظنهم البعض، وهم مع ذلك لهم محاسنهم كصدق النظر وذكاء المشاعر وصفاء السريرة وعلو النفس. ولكن الشعوب الآرية أفطن منهم لمفاتن الطبيعة وجلالة النفس الإنسانية وجمال الحق والفضيلة، على أن أنبغ العرب هم أولئك الذين ينتهي نسبهم إلى غير العرب كابن الرومي مثلا فهو آري الأصل – فارسي يوناني- وقد ورث كثيرا من صفات قومه، فهو أقرب إلى شعراء الغرب في أسلوبه الشعري. ويتفق رأي المازني هذا مع راي العقاد في الموازنة بين الشاعرية السامية والشاعرية الآرية وقد عرضنا لهذا الرأي من قبل.

(د) وكانت دراسة المازني لفن ابن الرومي سبيلا لوقوفه على نواحي حياته المختلفة، وإن كان يرى أنه ليس من اليسير أن يسبر المرء غور النفس الإنسانية، ولذا فهو يحكم عليها بالأغلب والأرجح، وكان يعتمد في ذلك على التحليل النفسي، ويستعين بعلم وظائف الأعضاء كزميله العقاد. من ذلك أنه علل لوفاة أبناء الرومي في صغرهم بأن ذلك يدل على اعتلال ابن الرومي واضطراب جهازه، كما يدل على ذلك أيضا فحشه في أهاجيه، وإكثاره فيها من ذكر أعضاء التناسل، وكما يدل عليه هجاء غيره له بالعنة تارة، وبالتخنث تارة أخرى. وقد سبق العقاد لهذا التعليل جميعه، وأضاف ما اقتبسه منه المازني أيضا من أن شعور ابن الرومي بالعلاقة بين تبرج الأزهار وتبرج النساء، وإحساسه بالصلة بين محاسن الطبيعة ومحاسن المرأة، هو دليل آخر على اضطراب جهاز التناسل عنده.

كذلك استدل المازني بأهاجي ابن الرومي على ضيق خلقه، وأن هذا الضيق برهان أيضا على الاضطراب واختلال توازن الأعصاب.

كما استنتج فيما بعد من شعره، أصله غير العربي، وعاداته وأخلاقه التي تخالف ما للعرب من عادات وأخلاق، واستنتج سخطه وتوهم اضطهاده من الناس والطبيعة وتشاؤمه وفلسفته ودقة حسه ولطف شعوره وقوة خياله، بحيث يستطيع أن يحضر لذهنه ويتمثل أمامه ما يتخيله ويجسده لنفسه كأنه واقع يحس ويلمس، فهو مقتدر على التشخيص وإلباس المعاني وصور الأحياء، ولذا فهو إذا وصف أفاض واسترسل واستقصى، كما يدعو لذلك لطف

الحس وقوة الخيال، وقد لحظ المازني ما لحظه العقاد من أن رومية ابن الرومي هي التي جعلت فنه يختلف عن فن غيره من شعراء العربية.

واستدل المازني أيضا بشعر ابن الرومي على أن عهده كان عهد انتقال في الشعر، إذ بدأ الشعراء على غير عادتهم يعنون بالجمهور، وكانوا من قبل يقصرون شعرهم على الملوك والأمراء والرؤساء، كما أن أسلوب ابن الرومي الروائي يدل أيضا على هذا الانتقال، ويدل عليه كذلك أنه لم يكن يقتصر على وصف الظواهر المحسوسة، بل كان يفضي إلى البواطن ويصورها كما أن يتتبع حالات نفسه الخاصة، ومع أن هذا الأسلوب يعد من مميزات ابن الرومي خاصة، غلا أنه كان لعوامل التطور العام أثر فيه.

3. وفي عام 1915م أصدر المازني كتابه "شعر حافظ"، وكان قد سبق أن نشره مقالات في صحيفة عكاظ وغيرها عام 1913م، وقد أضاف إليه حين أصدره بعض ما ارتآه وقتذاك دون أن يحدث تغييرا أو تبديلا فيما سبق أن نشره.

(أ) وبعد أن نوه في مقدمة الكتاب بأنه أحد الذين يمثلون المذهب الجديد، بدأ يوضح بعض أهداف هذا المذهب، وحددها في:

أولا: الدعوة إلى الإقلاع عن التقليد في الأدب، فإن ذلك يفقده فضيلة الصدق ومزية النظر، وهما عماد الأديب وقوام الشعر والكتابة، ولكن على الأديب أن يستفيد من آثار القدماء في أدبهم، ويدرس في فنهم الأصول الأدبية العامة التي لا ينبغي لأديب أن يحيد عنها أو يغفلها بحال من الأحوال كالصدق والإخلاص في العبارة عن الرأي أو الإحساس. وهذا وحده كفيل بالقضاء على فكرة التقليد، والتقليد على كل حال دليل على ضعف الخيال، وعدم القدرة على الابتداع، ودليل على فقدان الشخصية وفنائها في غيرها.

ثانيا: إباحة التصرف في اللغة تصرف الوارث في إرثه، فلا يجمد أمامها، بل ينبغي أن يجعلها تساير التطور والحاجة.

ثالثا: الأدب الحق هو الذي يصور الوجدان والأحاسيس في صدق، ويعطي صورة صادقة للناس والحياة، ولا يقيم وزنا للزخرف اللفظي، وإنما يوجه كل عنايته للمعنى، وكل معنى صادق مهما كان موضوعه أو هدفه وغايته، فهو خليق بأن يكون موضوعا للأدب، بل يكفي أن يكون على الشعر طابع ناظمه وميسمه، وفيه روحه وإحساسه وخواطره ومظاهر نفسه، سواء أكانت جليلة أم دقيقة، شريفة أم وضيعة، وفي ذلك ما يتطلب من صدق.

رابعا: وجوب النظر إلى غرض الشاعر الذي هدف إليه في القصيدة جملة، حتى يدرك ما رمى إليه كاملا، وعليه فلا يغني في ذلك النظر إلى جزء من القصيدة دون سواه.

(ب) وقبل أن يبدأ المازني في ذكر عيوب الشعر عند حافظ عقد موازنة بينه وبين شكري، اعتبر فيها حافظا ممثلا للمذهب القديم في الشعر، كما اعتبر عبد الرحمان شكري ممثلا للمذهب الجديد، فهما عنده متناقضان على ذلك أشد التناقض في الغرض والأسلوب والمنهج. وكيفما كان نصيب هذه الموازنة من الحق والإنصاف، فإنها على اية حال تبين لنا بعض

اتجاهات هذا المذهب الجديد الذي مثله شكري، حتى رأى المازني أن بيتا واحدا من ديوان هذا الشاعر، يفضل كلما قاله حافظ وأضرابه، بل رأى أن شعر حافظ ليس فيه شيء مما ينبغي أن يكون عليه الشعر.

والمازني وصاحباه يريدون من الشعر أن يكون مطبوعا، ليس فيه أثر من آثار الصنعة أو التكلف أو الإجهاد، وأن يستلهم الخيال الواسع، ويعمد إلى الابتكار والتجديد في أغراضه ومعانيه وأساليبه، حتى لا يكون صورة أخرى للشعر القديم. ويريدونه أن يعبر تعبيرا صادقا عن نفسية صاحبه، مصورا لآمال النفس البشرية وآلامها، ومعبرا خير تعبير عن معاني الطبيعة والعقل التي ترتبط ارتباطا وثيقا بالحياة والنفس، فيكون الشعر بحق وحي الطبيعة ورسالة النفس. ثم لا يهم صاحبه بعد ذلك أي ثوب ألبس هذه المعاني ما دامت صحيحة صادقة، ولكن المازني يناقض نفسه في ذلك في موضع آخر بقوله:

« ليس أدل على سقم الذوق وتخلف الملكة من تباعد ما بين الغرض وطريقة العبارة عنه. وتعادي ما بين المعنى ولفظه».

(ج) ثم بدأ المازني في تفصيل ما عاب به حافظا، فعابه بالسرقة وثقل الروح وبرود الفكاهة وجمود الخيال والسخف والبعد عن الغرض – كذهابه في المديح مذهب الهزل في موقف الجد- وعابه بالمبالغة وفساد الذوق وفساد المعنى وبرود العاطفة، والخطأ العلمي واللغوي والنحوي، ونظم بعض العلم شعرا، والحشو والتكرار. وكان يستشهد لذلك بنماذج من شعر حافظ، ولكنه كان متحايلا متعنتا في بعضها، ولا باس من ذكر بعض هذه النماذج على سبيل المثال. فمما رأى فيه فساد المعنى، لأن حافظا أراد ان يمدح فهجا وسخر من ممدوحه، قوله مهنئا شوقي برتبة:

قد كان قدرك لا يحد نباهة وسعادة فغدا بها محدودا

أي كان لا يدرك تحديده، فأدرك الآن. وظاهر البيت أقرب حقا للهجاء منه إلى المدح.

وذكر له من الخطأ النحوي ما جاء في البيت:

ولا تنس من أمسى يقلب طرفه فلم تر إلا "أنت" في الناس عيناه

وقال إن الصواب أن يقول "إلا إياك" أو "إلاك". وهذا النقد صحيح، لأن الضمير هنا من حقه النصب، وليس هناك من وجه يجيز وقوعه ضمير رفع.

ومن أمثلة الخطأ اللغوي التي ذكرها له ما وجده في قوله:

أو كان (في) ظبي الحمى مغرما أما لهذا الظبي من مرتع

فقال إنه يقال مغرم بكذا، ولا يقال مغرم فيه. وليس لنا إن أردنا أن نجد مخرجا لحافظ، غير ان تقول إن حروف الجر ينوب بعضها عن بعض.

وعند المازني أن بعض المبالغة خير من بعض، فمنها ما يشف عن قصر في النظر، وعجز في الخيال، وعدم صدق في العاطفة، كما بدت له مبالغة حافظ. ومن المبالغة كذلك ما يشف عن قوة في الذهن، وبعد في مرمى النظر.

والسرقة عن المازني دليل على جمود الخاطر، وأكثر عيوبها حين تكون في المعاني الصغيرة، فذلك دليل على عيب آخر، هو عدم اتساع الروح للمعاني الجليلة كما يرى ذلك عند حافظ.

وفي استهداف الشاعر غرضه، وحسن التعبير عنه، ينبغي أن يكون كالمصور في تخير الأصباغ والألوان، وحسن تأليفها ومزجها، حتى يرسم لك الصورة كما تأخذها عينه، ولو أنه ليس في طاقة اللفظ أن يغني غناء الريشة، ولا في وسع الريشة أن تغني غناء اللفظ، فلا يطلب من اللفظ إلا أن ينقل إليك أثر الشيء في نفس صاحبه، وهذا هو بعينه رأي العقاد في الوصف الشعري.

ويضيف المازني أن اتخاذ حافظ ألفاظه لتقوم مقام ريشة المصور هو السر في إخفاقه حين وصف زلزال مسينا بقصيدته التي مطلعها:

نبئاني إن كنتما تعلمان ما دهى الكون أيها الفرقدان

ويرى المازني في "حصاد الهشيم" أن حسن التصوير عند ابن الرومي هو السر في إبداعه، إذ أنه بعكس حافظ، لا يخلط بين مجال المصور ومجال الشاعر، ولا يحاول أن يجعل من قلمه ريشة.

وهذا القول عن حافظ يلتقي فيه أحمد الطاهر مع المازني من وجه، ويخالفه فيه من وجه، فأحمد الطاهر في كتابه عن حافظ يقول: « إذا أراد حافظ أن يصف مشهدا محزنا وفق في ذلك واتى بوصف رائع محزن، ورسم صورة دقيقة تعجب لها وتعجب من صدورها من حافظ الذي اتفقنا على أنه ليس بالشاعر الوصاف. هذه قصيدته في زلزال مسينا الذي وقع في سنة 1908م، فاترة عند وصف البراكين والبحار وأفاعيلها، ولكنها تقوى عندما تصل إلى ما أصاب الناس من هول وذهول، وقد دهمتهم النار وابتلعت الأمواج منهم جمعا».

فهو إذن ليس مخفقا كل الإخفاق في الوصف، إذ أنه يجيد وصف المشاهد المحزنة المؤلمة، ولذلك أجاد وصف هذا الجانب في قصيدة الزلزال هذه، وأخفق في جانبها الآخر.

(د) ولقد كان المازني قاسيا متهكما في نقده لحافظ، وكان مع ذلك يتحايل على النقد أحيانا، فمن ذلك تعليقه على قول حافظ في قصيدة الزلزال:

(غالها قبلك الزمان اغتيالا)

حيث علق عليه بقوله: لفظة اغتيال لا ضرورة لها بعد غالها. ولست أدري أيزيد المازني بذلك أن يسقط باب المفعول المطلق، وأنه يعني بذلك أنه لا قيمة له، ولا طائل من ورائه أكثر من الحشو والزيادة؟! إن في ذلك بلا شك تحايلا على النقد، فوق أنه من نوع النقد اللغوي الذي يهاجمه مذهبهم الجديد.

والمازني نفسه يثبت هذا التحايل حين قال بعد ذلك عن المفعول المطلق في كتابه "قبض الريح":

« والواقع أن هذا المفعول المطلق يمثل في تاريخ النشوء اللغوي خطوة انتقال اتسع بعدها الأفق ورحب على أثرها المال وتفتحت أبواب التعبير المغلقة...ومن شاء أن يقدر فضل المفعول المطلق على اللغة وعلى العقل الإنساني أيضا فليتصورها مجردة منه ولينظر إليها كيف تعود؟ أو إلى أي حد تضيق؟ وقد يتعذر تقدير ذلك على وجه الدقة لأننا الآن ميراث واحد لها جميعا».

ومن تحايله على النقد أيضا تعليقه على قول حافظ في قصيدة الزلزال نفسها:

رب طفل قد ساخ في باطن الأرض ينادي أمي! أبي! أدركاني

علق عليه بقوله: فإنه على وفرة علامات (النداء)، لا يعقل أن السائخ في باطن الأرض يستطيع شيئا من ذلك. ولست أدري أيضا، هل قصد حافظ هذه الواقعية المتحجرة فعلا كما فهم المازني أو أراد أن يفهم، أو أن الشاعر كان يحكي لسان حال هؤلاء الأطفال الذين قلب عليهم الزلزال الأرض، فأضحوا في باطنها جثثا ممزقة بعد أن كانوا يمرحون على سطحها.

ثم لست أدري، كيف يرميه بثقل الروح، وبرود الفكاهة، عندما يتحدث عن بعض شعره، ثم هو يعود حين كان يدافع عن أنه لا يحتقر حافظا، وإنما يحتقر شعره، وأنه ليس هناك ما يدعو لازدراء شخصه، يعود فيقول: « فإن الرجل ظريف المحاضرة مليح النكتة عذب المحادثة»؟! وهكذا فالتعنت والغرض كما ترى واضحان في كل ذلك.

وقد جرد المازني حافظا من كل حسنة، ويقول إن البحث أعياه ليجد له شيئا لا تنقبض منه النفس، ولا ينبو عنه الذوق، ويرى أنه ليس بشاعر، وإنما وازن تفاعيل ومقطع أبيات، وأنه على ذلك لن يبقى شيء من نظمه على الزمن الآتي. وأنت هنا ترى المازني واضح التأثر بأسلوب وعبارات بعض النقاد الغربيين، بل بروحهم في النقد، فمثل هذا الذي يقوله المازني عن حافظ، قاله سنت بيف عن لامرتين عندما أصدر قصيدته "سقوط ملا"، قال: « قد يكون لامرتين أعظم خطيب، وأعظم سياسي في عصره، ولكن حين يخوض ميدان الشعر، لا يحق له أن يعطينا أبياتا مرتجلة». ومثل ذلك قاله بلانش لفكتور هيجو عندما أصدر الأخير مجموعة من تآليفه عام 1938م، قال له: « إن كل ما كتبته حتى الآن مقضي عليه بالموت».

ولكن المازني بعد كل هذا النقد القاسي يعود فيتراجع عنه بعد نحو عشر سنوات فيقول: « أما النقد فقد أسقطناه من جملة ما كتبنا غير آسفين على إسقاطه، فقد كان مما أغرت به حماقة الشباب». ويقول في موضع آخر معلقا على سطو أحدهم على نقده لحافظ: « أستحي أن أنبه إلى سطو صاحبنا المتلصص على نقدي، مخافة أن يتنبه الناس إلى ما أرجو مخلصا أن يكونوا قد نسوه من أني أنا كاتب ذلك الهراء القديم، ومن أجل ذلك أهب للصنا ما عدا عليه وبزني إياه، وما أسهل أن يهب المرء غير شيء!!».

وهذا اعتراف من المازني بان نقده كان مغرضا ذاتيا بحتا، وربما كان ينفس به عن غل في صدره. ومن العجيب أنه كان يعيب على الناس في مقدمة "شعر حافظ" عدم ألفتهم للصراحة في القول، وعدم ألفتهم توخي الصدق في الرأي، وأنهم بذلك أحوجوه لتبرئة نفسه

في أقواله، وأحوجوه لدفاعه عن صدقه في النقد، ثم يقول إنه من سوء حظ الناقد أنه لا يستطيع أن يركن إلى إنصاف الناس وصحة رأيهم. هذا ما عابهم به، فانظر بعد هذا الاعتراف هل كان الناس محقين في ذلك، أو كان المازني هو المحق؟؟

ومثل هذا النقد ينبغي ألا يعتد به، وإن كنا لا نغفل الأسس التي كان المازني يزعم انه يسير على ضوئها، ولكنه تنكر لها، وتنكب عن طريقها، أقول ذلك لأنها أسس نقدية صحيحة بوجه عام. ليس بها من بأس غير أنه أسيء تطبيقها، وقد كنا لحظنا مثل ذلك عند العقاد من قبل.

وهذا الموقف المغرض للمازني مع حافظ، واعترافه به، وتراجعه عنه، هو بعينه موقفه مع شكري كما ستعرف ذلك، وهو بعينه أيضا موقفه مع محمد السباعي مترجم رباعيات الخيام، فقد انتقده مع شيء من القسوة في كتابه "الشعر غاياته ووسائطه"، انتقده بانه في ترجمته يستعمل كثيرا من الصفات والنعوت عل بعضها يصيب الغرض، وأنه يعني بالتزويق وإن أضر بالمعنى، وأن هذا كله من أسباب ضعفه وفتوره. ثم نقده بمثل ذلك في الطبعة الأولى من "حصاد الهشيم"، ولم يلبث أن تراجع عن هذا النقد وأسقطه في الطبعات التالية حيث قال: « وقد آثرت أن أحذف فصلا في نقد الترجمة التي وضعها المرحوم السباعي لرباعيات الخيام، لأن الغرض من النقد لم يكن سوى التنبيه ولفت النظر، لا الإساءة إلى ذكراه».

وبعد، فإن هذا التراجع من المازني يدل، بلا شك، على طيب نفسه، ويدل على أنه يريد دائما أن يسدل الستار على ما بدر منه لغيره من إساءة، وهو في الوقت نفسه يدلنا على أنه كان حاد العاطفة جدا، فحين تثور عاطفته، يسئ، ويهدم، ويخبط ذات اليمين وذات الشمال، وحين تهدأ عاطفته، ويثوب إلى رشده يكون وديعا رقيقا يتلمس الصفح والمغفرة من كل باب، ولا يتردد في أن يعلن تراجعه، ويشهر تحامله السابق. وهذه الصفة إن حمدت حينا. وذمت حينا آخر، في علاقات الناس بعضهم ببعض، إلا أنها كان ينبغي أن تكون أبعد ما تكون عن الناقد الأدبي، الذي يجب أن يكون موضوعيا إلى أقصى ما تسمح به النفس البشرية، إذ أن النقد غير النزيه ليس خليقا بالعلوم والآداب والفنون.

4. (1) وفي نفس عام 1915م أصدر المازني كتابه "الشعر: غاياته ووسائطه"، فجاء فيه من هذه الغايات والوسائط:

(أ) أن الشعر ليس أحلاما، وأن الإنسان شاعر بطبعه وجبلته، فهو حيوان شعري، وإن لم يلقن قواعد النظم وأصوله. والشعر لا يعبر إلا عن أحاسيس المرء من حب وبغض ورجاء ويأس وغيرها من مادة الحياة، وهو عنوان على رقي الجماعات، ودليل على حياتها، ومجني ثمار العقول والألباب، ومجتمع فرق الآداب. على أن الشعراء هم محدثو اللغات، مبتدعو الفنون، وواضعو الشرائع ومؤسسو المدنيات.

وينبغي أن نشير هنا إلى أن بعض هذه الآراء هو لهازلت. وقد نقلناها عنه قبل ذلك في حديثنا عن الصلة بينه وبين العقاد..ومع أن المازني لا يرى في تعريف الشعر غناء، بل يعتبر محاولة تعريفه تكلفا لا يصل به المرء إلى ما يريد، إلا أنه يعرفه بانه خاطر لا يزال يجيش بالصدر حتى يجد مخرجا ويصيب متنفسا. وهو بهذا التعريف يريد الشعر أن يكون غنائيا شخصيا، ليست له وظيفة سوى التنفيس الشخصي عن قائله. وقد أطال في توضيح هذه الغاية في مقدمة الجزء الثاني من ديوانه الذي أصدره عام 1917م.

(ب) ولكنه يقول إن الألفاظ لا تستطيع أن تعبر تعبيرا تاما عما في النفي، فهي رموز تحل محل الصور، ولذا فإن قصور اللغات مدعاة لسعة مجال الخيال، وطول متعة الذهن، وقد تكون إثارة الخيال هي سبب ما في الشعر من روعة وإبداع كبيتي كثير:

وأدنيتني حتى إذا ما سبيتني بدل يحل العصم سهل الأباطح

تجافيت عني حين لا لي حيلة وخلفت ما خلفت بين الجوانح

وإثارة الخيال هذه هي الاقتراح الذي هو غاية الشعر. أما إن أخذ الشعر على الخيال مذهبه. ولم يترك له مجالا فهو غث لا خبر فيه. وفي ذلك يقول سنت بيف: « ليس الأصل في الشعر الاستقصاء في الشرح والإحاطة في التبيين، ولكن الأصل فيه أن نترك كل شيء للخيال».

(ج) والشعر في حقيقته لغة العواطف لا العقل، ولكنه لا يستغني عن العقل فيما يخدم هذه العواطف، وليس هو بشعر ما لم يعبر عن عاطفة أو يشرها. وقد رأى المازني من ذلك الشعر المعيب شعر حافظ واضطرابه في الحوادث اليومية، ورأى منه شعر المديح عامة.

وبما أن العاطفة تحتاج للغة حارة تعبر عنها، فقد استخدمت المحسنات البديعية. فالعاطفة إذن هي الأصل في هذه المحسنات، ولكن هذه المحسنات صارت مرذولة بالصنعة والتكلف، أما عند شعراء الطبع فتأتي عفوا، وتكاد لا تحس، فهي جميلة الوقع عندهم، معبرة تعبيرا صادقا عن العاطفة.

(د) ويهاجم المازني من يقول بعدم ضرورة الوزن في الشعر، فكما أنه لا تصوير من غير ألوان، كذلك لا شعر إلا بالوزن، وقد يكون النثر شبيها بالشعر في تأثيره، وتعبيره عن العاطفة، أو يغلب عليه روح الخيال، ولكنه مع ذلك ليس بشعر إذ يعوزه الجسم الموسيقي، ومثل الوزن في ذلك القافية، فلا شعر إلا بهما معا أو بالوزن في الأقل.

وفي ذلك إشارة من المازني إلى نزعته للتحرر من القافية، وإن لزم في ذلك شيئا من الحذر، لم يلبث أن تخلى عنه، كما سيأتيك.

(2) ومن وسائط الشعر عند المازني أيضا:

أن لبوس الشعر هو الجمال، وأن عالم الشعر كغيره من الفنون أسمى العوالم وأبهاها، لأنه يحقق اللذة النفسية.

على أن امتياز الشعر يكون بتأثيره، ومن عوامل هذا التأثير أن يكون متميزا بالسهولة والوضوح، مهما كانت الفكرة عميقة، متخيرا الشاعر لذلك أبرع الألفاظ، وأرشق العبارات، فإن الألفاظ أوعية للمعاني، وأحسنها أشفها وأشرقها دلالة على ما فيها. وعلى الشاعر ألا يعمد في ذلك إلى الإسراف في التأنق، فيخطئ مواقعه، أو يتكلف ما ليس في حاجة إليه، فيحول ذلك دون تأثيره في نفس القارئ، كما هي الحال عند أبي تمام.

ولا يكفي عند المازني ما سبق لتكون العبارة مؤثرة، بل يرى أنه لابد كذلك من أن تكون العاطفة التي يراد التعبير عنها صادقة، وهذا ما جعل المديح ثقيلا على النفس، ممجوجا إلا نادرا.

كذلك مما يستدعيه عن إبراز المعاني: صحة النظر، وسلامة الذوق، وصدق السريرة، وقدرة الذهن على استظهار الألفاظ، والانتفاع بها بفضل هذه الكلمات. كما أن إبراز المعاني فن يحتاج إلى مواهب وملكات كالتي يحتاج إلى مثلها التصوير والموسيقى، لأن القدرة على استشفاف الصلات بين الأشياء وإدراكها، ليست دائما مقرونة بالقدرة على اختيار أنسب الألفاظ لها، فهذه قدرة الكاتب، تلك قدرة المفكرة.

وللشعر لغته الخاصة، وهي لا تبلغ أسمى غاياتها بالمجاز والاستعارة وما إلى ذلك فقط، بل كذلك يتجنب المبتذل من الألفاظ، فإن لكل لفظ تاريخا، وقد ينحط اللفظ في زمن من الأزمان، وقد يرقى في غيره.

وظاهر ذلك أن المازني يخالف العقاد الذي لا يرى ابتذالا في الألفاظ، وإنما يقصر الابتذال على التراكيب وحدها، ولكن المازني أوضح فيما بعد أن الكلمة لا تكون رديئة بأصل وضعها، وهذا معناه أن الزمن هو الذي يفعل فعله في ابتذالها وعدمه، فإذن لا تناقض بين هذين الرأيين، ولكن أحدهما مكمل للآخر.

(3) وقال المازني عن غايات الشعر كذلك:

(أ) إنه ليست الغاية القصوى للشعر هي إدخال اللذة على القلوب وإمتاع النفوس، وإنما هذه اللذة فكا للذة المستفادة من الطعام، إذ هي ليست غاية الحاجة إليه.

ومن غايات الشعر السمو بقومه إلى درجة من الفكر أعلى، ومستوى من التصور أرقى، فهو في ذلك كالدين، يطهر الروح، ولكن عن طريق الجمال أي طريق العواطف والإحساسات، في حين أن الدين يطهرها عن طريق العبادات، وقد يستعين بالعواطف أيضا. فغاية الدين والشعر واحدة، ويمكننا أن نقول بعبارة أخرى إن "الفكرة الدينية" صفة غالبة على الشعر في كل تاريخه، ولكن لكل من الدين والشعر مظاهره الخاصة، ومثلهما الفلسفة أيضا، ومع ما بينها جميعها من وثيق الاتصال، فهي جميعا تمثل: "وجوه الفكرة" في كل عصر.

(ب) وعاد المازني، وتحدث في هذا الكتاب عن سر العظمة والنبوغ، فقال إن الشعراء لا ينبغون إلا في عصور النزاع والقلق والاضطراب، كنبوغ الشعراء في فرنسا بعد الثورة

الفرنسية، ونبوغ شعراء العرب في جاهليتهم، وفي عصور النزاع والاضطراب التي تلت الإسلام. وما كان ذلك إلا لأن كل ثورة أو انقلاب إنما هما إيذان بمولد فكرة، أو مذهب جديد، فيعبر عنه الشعراء ويتعاونون على توضيحه، فيكثرون، ويأخذ كل منهم جانبا بعينه، لأن الشاعر الواحد لا يسعه أن يأخذ كل الجوانب، ومن ثم يكثر أيضا المقلدون الذين يجدون عند من سبقهم تصوير مثل أحاسيسهم وعواطفهم.

ونحن نعلم، مع ما في هذا الرأي من الحق، أن كثيرا من الشعراء قد يمهدون للثورات والانقلابات، ثم هناك من يغذون هذه الحركات، وأخيرا هناك من يترجمون عنها، ويتأثرون بروحها بعد انقضائها. ولعل نبوغ الشعراء في خلال الثورة هو أندرها وألقها، إذ أن هذا المجال ليس مجال الشعر، إنما هو مجال الخطابة ومن دواعي ازدهارها.

5. وفي مقدمة الجزء الثاني من ديوان المازني الذي أصدره سنة 1917م، قال ينظرة الشمول، وذكر أنها أصل في الشعر وسائر الفنون الأدبية على اختلافها وتباين مراميها وغاياتها.

وقال أيضا إن أساس الشعر هو صحة الإدراك الأخلاقي والأدبي، وعلى قدر نصيب الشاعر من ذلك، تكون قيمة شعره. وهو لا يعني بذلك مادة الشعر حتى لا نفسر قوله على أنه يقصد إلى إظهار الإحساس الديني في شعر الشاعر، ولكنه يعني مصادر الشاعر وينابيعه. ولا يشترط في الشاعر أن يكون صاحب مبدأ عملي لا يحيد عنه، ولذلك فهو يريد أن يكون الحكم على الشاعر من ناحية هذا الإدراك الأخلاقي، مما يستشف من وراء لفظه، وبنفسيته التي ينم عنها شعره، وألا يتخذ ما يذكره من الخمر والتشبيب ونحو ذلك مقياسا له.

وقد رد المازني في هذه المقدمة على اتهام شكري له بالإغارة على شعراء الغرب. وهو برغم محاولته تبرئة نفسه من ذلك، فقد وافق على بعض تلك المطابقات، كقوله: فلم نعثر على شيء يجوز من أجله اتهامنا بالسرقة إلا أبيات في "رقية حسناء" وهي "لشيلي"، والجزء الأخير من قصيدة "أماني وذكر" وهو "لبيرنز"، وأول هذا الجزء "ياليت حبي وردة".

6. وللمازني مخطوط لم يكمله وهو محفوظ عند أهله، ويحمل هذا المخطوط اسم "فلسفة الشعر والنقد الأدبي"، وقد كتب عليه "مذكرات وملخصات يرجع إليها في كتابة الكتاب". وحتى هذه المذكرات والملخصات ليست كاملة، فكثير منها ضائع يدل عليه ترقيم صفحاتها، إلا أن مقدمة الكتاب سليمة وتاريخ كتابتها 1918/6/9م، وهي تشرح موضوع الكتاب، وتدل على أن الأبواب التي كان يعتزم أن يشملها هي: في اللغة ونشوئها، أصل الشعر، نظرية الشعر، الشعر والموسيقى، المذاهب الشعرية، النقد الأدبي.

وإن كان هناك شيء يستفيده النقد من هذه المقدمة، فهو إشارته فيها إلى أن اختيار المؤلف لآراء غيره يدل على عقل هذا المؤلف المتخير، كما يدل عليه ما يبتكره هو من آراء، إذ أن المرء لا يختار إلا ما يوافقه، فينبغي أن يحاسب عليه كما يحاسب على آرائه الخاصة، ورأى

المازني هذا يعني عندنا أيضا أن جمع مختارات الشعراء يصور نفسية جامعها، كما كانت هي تصور نفسيات قائليها.

7. وللمازني رأي في أدب المهجر يشبه رأي العقاد فيه. فهو يرى أن روح أدباء المهجر مستقل لا يريد تقليد العربي القديم ولا الغربي الجديد. وقد استشهد على ذلك بقول جبران خليل جبران: « ليكن لكم من مقاصدكم الخصوصية مانع من اقتفاء اثر المتقدمين فخير لكم وللغة العربية أن تبنوا كوخا حقيرا من ذاتكم الوضعية من أن تقيموا صرحا شاهقا من ذاتكم المقتبسة. ليكن لكم من عزة نفوسكم زاجر عن نظم قصائد المديح والرثاء والتهنئة. فخير لكم وللغة العربية أن تموتوا مهملين من أن تحرقوا قلوبكم بخورا أمام الأنصاب والأصنام. يكن لكم من حماستكم القومية دافع إلى تصوير الحياة الشرقية بما فيها من غرائب الألم وعجائب الفرح، فخير لكم أن تتناولوا أبسط ما يتمثل لكم من الحوادث في محيطكم وتلبسوها حلة من خيالكم من أن تعربوا أجل وأجمل ما كتبه الغربيون».

وقد استحسن المازني تجديد المهجريين في الأوزان، كاعتبارهم البيت بمصراعيه كلا غير مقسوم في الكتابة إلى شطرين، وكذلك استحسن افتنانهم في القوافي وتنويعها. ثم وصف شعرهم بأن أكثره غنائي حزين، فلغربتهم وحنينهم لأوطانهم، وما يرونه من غيوم تكتنف مستقبلها، لذلك كله أثر في وفرة الشعر الغنائي عندهم، بالإضافة إلى ما تمليه عليهم نزعة التحرر مما تكبلهم به العادات والتقاليد.

ثم هو يعيب عليهم قلة العناية باللغة وأساليبها، فلغتهم تعتورها الركاكة والضعف والخطأ، وإن كانت تتميز بصدق العاطفة والتحرر.

8. وفي (الديوان) الذي أصدره في النقد والأدب مع زميله العقاد، تناول هو بالنقد عبد الرحمان شكري والمنفلوطي:

(أ) أما عبد الرحمان شكري الذي كان يقول عنه من قبل إنه الذي يمثل المذهب الجديد في الشعر، لأنه مجدد ومبتكر ومطبوع إلى آخر ما نعته به من صفات الإعجاب والتقدير، فإن المازني يعود اليوم فينعته بأنه (صنم الألاعيب)، وأنه ليس في كل مفاتن الطبيعة وروائع الحياة ومعانيها ما يحرك هذا الصنم، فهو خامل وجامد، ومع ذلك يريد أن يكون شاعرا له رسالة في الأدب. وهو لذلك ينصح له بان ينصرف عن كل تأليف أن نظم، ليفوز بالراحة اللازمة له، لأن جهوده عقيمة، وتعبه ضائع، فهو متكلف ومقلد في اسلوبه، ومغير على غيره من الشعراء. ولغته غير واضحة، وليست مؤدبة لمعنى بعينه، وألفاظه غير منتقاة، وعبارته سقيمة، ثم هو يتحرر من القافية والوزن.

ولما فطن المازني لإطرائه السابق لشكري اعتذر عنه بأنه كان قد رأى في شكري بارقة أمل، لما أبداه من إظهار نزعته نحو التحرر، ولكنه لم يحقق الآمال فيه.

والمازني كما ترى يتأثر في نقده بعلاقاته الخاصة، فإن كانت العلاقة حسنة، فالمنقود ممثل بحق للمذهب الجديد، وهو مطبوع ومفتن. وإن ساء ما بينهما، فليست في المنصفة من صفات الشاعرية، بل خير له أن ينصرف عن محاولة الشعر، ليفوز بالراحة، أنه لن يكون شاعرا مهما أجهد نفسه. وليس هناك دليل على عدم النزاهة أبلغ من مناداة المازني وصاحبيه بالتحرر من القافية، واعتبار ذلك أحد أهداف مذهبهم. فإذا ما وجد المازني شيئا من ذلك عند شكري، هاجمه فيه، رغم أنه قد مدحه عنده من قبل كما في كتاب "شعر حافظ".

وحسبنا أن نقول إن « مثل هذه الأقوال لم تؤثر فتيلا في الشاعر الفنان، وشكري في رأينا هو من رواد الشعر الحديث في مصر بعد مطران، وشعره هو الحد الفاصل بين الكلاسيكية والرومانتيكية، فله موضوعاته المستقلة، وأفكاره الجريئة، وله صياغته المرسلة في قصيدة "نابليون والساحر المصري"، وقد تأثر باتجاهاته أسلوبيا وموضوعيا بعض شعرائنا المصريين، ومن بينهم العقاد....

« وإذا كان المازني أساء متعمدا إلى هذا الشاعر في كتابه "الديوان" لدوافع نفسية لا نعرفها، فقد أدرك إسرافه في التهجم، وخفته إلى التحرش، فعاد بعد سنين، وكتب يستنكر غضباته، مقرا ألمعية شكري وفضله وتفوقه». وقد وجدناه أيضا يسقط من ديوانه بعض أبيات من قصيدة هجاء عنيف لشكري، وإن ظلت القصيدة مع ذلك عنيفة ساخطة، وهي التي مطلعها:

بعض بغضائكم أول البغضاء إنما الشتم شيمة السفهاء
ليس يشفي السباب غل حسود قد طوى صدره على الشحناء

ولا يحتاج منا التحامل الذي نراه عند العقاد والمازني في كتابهما "الديوان" إلى تدليل أو برهنة، فقد اعترف به صاحباه في أثناء نقدهما، كما اعترف به صاحباه في أثناء نقدهما، كما اعترف به مؤيدوهما أيضا، فقال ميخائيل نعيمة في كتاب "الغربال" بعد أن أطرى "الديوان" وأثنى عليه، قال: « ولو أنهما ترفعا كل الترفع عن الوخز في شخصيات من ينتقدانهم من الكتاب والشعراء، لما كان على كتابهما من غبار لوم و تثريب، ولما وقعا من الهفوات إلا فيما يقع فيه سواهما من الناقدين من تقدير بعض الآثار أكثر من قدرها أو أقل، إذ ليس من ذي عصمة بين البشر».

وهنا نحب أن نقول إن أدباء المهجر، كانوا من جانبهم يسيرون من ناحية عامة في اتجاه مماثل لاتجاه العقاد وزميليه، فكانوا يحملون أيضا على الشعر التقليدي، ويحاربونه، وكانت مدرسة المهجر تلتقي مع تلك المدرسة الحديثة في مصر في نهجها العام في النقد والأدب. وليس من شك في أن كتاب "الغربال" لميخائيل نعيمة يعتبر لبنة أساسية فيبناء الأدب الحديث، بل ويعتبر متمما للديوان في حملته على الشعر التقليدي، وفي دعوته للشعر الجديد.

ونعود للمازني فنقول – كما قلنا من قبل-: إن الناقد المنصف ينبغي ألا يكون ذاتيا مغرضا، فيذهب مثل هذا المذهب، الذي يجعله يحكم اليوم بنقيض حكمه بالأمس. يفعل ذلك

لا لأن رأيه قد تغير في منقوده، لأنه أصبح ينظر إلى فنه بمنظار غير منظاره الأول، أو يقيسه بمقياس جديد، بل لأنه كان يريد أن يمدحه، وهو اليوم يريد أن يذمه. ومثل هذه الأحكام لا تضع الناقد في موضع الثقة من قراء الأدب، بل لا تجعلهم يأتمنون كلمته فيه.

ومع عدم نزاهة نقد المازني هذا لشكري في "الديوان"، ومع ما تميز به من قسوة وتجريح وتعنيف وفحش – كما وجدنا مثل ذلك عند العقاد في نقده لشوقي والرافعي- مع ذلك كله يمكننا أن نخرج من هذا النقد بمقياس نستطيع أن نضيفه لمقاييس النقد السابقة عند المازني. وهذا المقياس هو ما ذكره من أن العمق في الفكرة لا يستلزم الغموض في العبارة عنها، فكل غموض دليل إما على العجز عن الأداء، أو التدجيل، أو استبهام الفكرة في ذهن صاحبها.